ISSN: 1817-6789 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: http://www.jtuh.com
JTUH
مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية
Journal of Tikrit University for Humanities
كليـــة التربية للعلوم الانسانية
College of Education for Human Sciences

Suhad Nasif Jassim

*Islamic Waqf in the Mamluk Period (648 923 e / 1250 1517 m)*Sciences

***Keywords*:**

Islamic Waqf in the Mamluk Period

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 10 Dec. 2017
Accepted 2018
Available online 05 xxx 2018

Abstract:

Praise be to Allah, the Lord of the Worlds, and prayers and peace be upon the best of our prophet Muhammad (ﷺ) and his companions and his followers and follow him with charity until the day of religion and after.

Since the end of the reign of the Ayyubids, the rule of the Ottoman Empire lasted for two and a half centuries. During this period of rule, they established a vast country, including Egypt, the Levant and others, during which many sacrifices were made. In the Mamluk era, the status of the Caliphate moved to Egypt and the impact on you on the religious and scientific institutions and in their neighborhoods of religious rites, Egypt and the Levant during this period Center for To the global trade, whether to the East or the West, which contributed to the commercial boom in the richness of the state and reflected on the various institutions in the state, that one of the greatest advantages of that era that the sultans were able in a record time of re-cultural and intellectual renaissance after being burned and damage because of the Mongols

الوقف الاسلامي في العصر المملوكي

(648 ـــ 923 هـــ / 1250 ـــ 1517 م)

م . م . سهاد نصيف جاسم

* *Corresponding author: E-mail* : adxxxx@tu.edu.iq

الملخص/

د لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الأنام نبينا محمد (ﷺ) وعلى أصحابه ومن ولاه وأتبعه بإحسان الى يوم وبعد.

عصر المماليك من عام (648 –**923هـ /1250–1517م)** منذ انتهاء عهد الأيوبيون الى قيام الدولة العثمانية حكمهم ما يقارب قرنين ونصف من الزمن أسسوا خلال هذه المدة من الحكم دولة مترامية الاطراف شملت مصر وبلاد وغيرها قدموا خلال هذه المدة التضحيات الكثيرة للدفاع عن الدين والوطن ضد الصليبين والمغول سجلوا العديد من سارات التي وثقها التاريخ في مواقع عين جالوت وفارسكو وعكا وطرابلس وغيرها ،في العصر المملوكي انتقل مركز ة الى مصر وبين أثر لك على المؤسسات الدينية والعلمية وفي أحيائهم للشعائر الدينية ،أصبحت مصر وبلاد الشام هذه الفترة مركزاً للتجارة العالمية سواء اً للشرق ام الغرب مما ساهم الازدهار التجاري في الثراء الضخم للدولة وانعكس على المؤسسات المختلفة في الدولة ،أن من أعظم إيجابيات ذلك العصر أن سلاطينها استطاعوا بزمن قياسي من النهضة الثقافية والفكرية بعد ما تعرضت للحرق والاتلاف بسب المغول ،أرتيت لذلك أن يكون موضوع بحثي مظهر ظاهر ذلك الازدهار الا وهو الاوقاف في عصر المماليك وسبب اختياري للموضوع هو أهميته في الحياة العامة لانه من مصادر الانفاق ووجه من أوجه الخير والبر سعى الامراء والسلاطين لتحقيقها والاهتمام بها، كما أن المصادر ية ركزت اهتمامها على النواحي السياسية عند حديثها عن السلاطين والامراء وتذكر الاوقاف باعتباره من اوجه البر ن دون إظهار الدور الحقيقي والفعال للأوقاف في المجتمع والحياة العامة ، وابراز الاثر الذي تركه نظام الوقف في الحضارة في العصر المملوكي ،فقد قسمت البحث الى مبحثين الاول تناول :تعريف الوقف من ناحية اللغة طلاح والادلة الصحيحة على مشروعية الوقف وتاريخ الوقف في الاسلام أما المبحث الثاني فتناول : فوائد الوقف ، ازدهار الاوقاف في العصر المملوكي ونماذج من الاوقاف في ذلك العصر.، والله ولي التوفيق.

الأوقاف في العهد المملوكي(648-923هـ/1250-1517م)

تعرف الوقف من ناحية اللغة: بانه الحبس ويقال وقفت الدار وقفا أي أحبستها في سبيل الله[1]،ومنها المنع ويقال وقفت الرجل عن الشيء منعتهُ عنهُ[2] الحُبس بالضم أسم يقع على كل شيء وقفه صاحبه وقفاً محرماً لا يورث ولايباع من ارض ونخل ومستغل بحبس أصله وقفاً مؤبداً وتُسبل ثمره تقرباً الى الله عز وجل[3]،والوقف هو أسم مصدر وجمعه أوقاف كثواب أوأ ثواب[4] .

ومن ناحية الاصطلاح يعرف بانه :الهبة والصدقة الهدية أو العطية معانيها مُتقاربة كلها تمليك في الحياة تعبير عوض واسم العطية شامل لجميعها[5]، والفرق بين الوقف والهبة هو أن الوقف تمليك مع بقاء العين على ملك الله فلا يجوز التصرف فيها الهبة فهي تمليك للعين والموهب له الحق أن يتصرف فيها كيف يشاء ، والوقف أذاً مصطلح فقهي اسلامي يعبر عن نوع من التصدق على سبيل الخير والإحسان ،ويطلق على الصدقات والتبرعات فيها[6].

والوقف يصح في الأحوال: الأراضي والأبنية والاشجار والآبار....أن مثل هذه الممتلكات وردت فيها نصوص شرعية[7]،أختلف الفقهاء في الأموال المنقولة كالحيوان والثياب والنقود والكتب والمواد الغذائية والآلات الصناعية والقتالية وهل يصح وقفها أم أنها لا تعدو أن تكون صدقة عادية لا تجري عليها أحكام الوقف[8] الجواب الجامع لما أختلف فيه أوضحه أبن قدامة حين قال: أن الذي يجوز وقفه ما جاز بيعه وجاز الانتفاع به مع بقاء عينه وكان أصلاً يبقى بقاء *متصلاً كالعقار والحيوان والسلاح والاثاث ومشابه ذلك*[9]'وعن مشروعيه تحبس الحيوان روي ان خالد بن الوليد أحتبس أدرعه وأعتده في سبيل الله [10] .

مشروعية الوقف:-

من دلائل مشروعية الوقف ما ورد في الكريم والسنة النبوية والاجماع وعمل الصحابة ومنها ما جاء في القران قوله تعالى :[11]

'وقوله :[12]

وفي الحديث النبوي الشريف قال((أذا مات الأنسان أنقطع عمله الا من ثلاث صدقة جاريه أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو لهُ))[13].

وجاء بالأجماع عن جابر (◙)قال: لم يكن أحد من أصحاب النبي (ﷺ) ذو مقدرة الا أوقف وهذا أجماع منهم على مشروعيته[14].

عن عبد الله بن عمر أنه قال: ((أصاب عمر أصاب أرضاً بخيبر فأتى النبي يستأمره فيها فقال: يارسول الله أصبت أرض بخيبر لم أحب مالاً قط أنفس عندي منه فما تأمرني به قال(ص):أن شئت حبست أصلها وتصدت بها قال ،فتصدق بها عمرانه لا يباع ولاتوهب ولا تورث فتصدق بها على الفقراء وذي القربى وفي سبيل الله وأبن السبيل))[15]، نتيجة على ذلك ثبوت الادلة الصحيحة في القران والسنة والاجماع من الصحابة على مشروعيته وجوازه.

تاريخ الوقف في الإسلام:

أول وقف في الإسلام هو في السنة الثالثة للهجرة النبوية الشريفة وهو سبع حوائط كانت تعود الى (مخيريق اليهودي)[16]

،الذي قتل في معركة أحد وكان قد أوصى بها للنبي أن يضعها أينما يشاء فتصدق بها الرسول وجعلها وقفاً [17])،الرعيل الاول من الصحابة كانوا أكثر ترسماً لخطوات الرسول سباقين الى كل خير لتطبيق النصوص الشرعية، إذا أوقف عثمان (◙) بئراً أشتراها واوقفها للسقايا[18] روى أن هذه البئر كانت لرجل من بني غفار وكان يبيع منها القربة بِمدً [19] فقال لهُ النبي :تبيعها بعين من الجنة فقال: يارسول الله ليس لي ولعيالي غيرها فبلغ ذلك عثمان فشترها بخمس وثلاثين درهم ، ثم أتى النبي فقال: أتجعل لي ما جعلت له ،فقال نعم ،قال :قد جعلتها للمسلمين[20].

وقف علي (◙)بستاناً على الفقراء ،وأوقف الزبير بن العوام دورا الى بنيه([21]) عن أنس (◙)قال كان أبو طلحة أكثر أ نصاري بجوار المدينة ما لاً، وكان أحب أمواله اليه ببرحاء [22] فلما نزلت الآية(لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) قال :أنها صدقه لله أرجوا برها وذخرها عند الله فضعها يارسول الله حيث شئت [23]. وسار هكذا المسلمون على نهج الرسول محمد (ﷺ) الصحابة الاوائل(رضوان الله عليهم) في كل زمان ومكان ينفقون أموالهم تقرباً الى الله راجين رحمته وغفرانه[24] .

وبعد عصر الصحابة نمت الاوقاف وتكاثرت وتنوعت بحسب ما عرفته المجتمعات الإسلامية من أتساع وتنوع في احتياجاتها ومتطلباتها ،فظهر أتجاهين للوقف هما أتجاه الوقف العام وهو الموجه لعموم المسلمين ويتعلق بفئة

المرضى والايتام ايضاً، واتجاه الوقف الخاص هو الموجه الى قرابة المحبس وذريته ،عرف الاتجاه الاول باسم الوقف الخيري اما الثاني فقد عرف باسم الوقف الاهلي أو الوقف الذري ،وعرف في المغرب باسم الوقف المعقب[25].

أما عن دولة المماليك فقد سارت على نفس المنهج الذي سار عليه الايوبيون في الاعتناء بالأوقاف والاهتمام بها ،وأستمر سلاطين المماليك وأمرائهم بممارسة الوقف والاهتمام الشديد فيه وساهم في ذلك طبيعة العصر من الناحية السياسية والاقتصادية مما أدى الى ازدهارها[26] ،و كان للسلاطين في دولة المماليك دوراً فعالاً في توظيف المذاهب الدينية سياسياً لدعم السياسة وتوطيد الحكم [27]،لذا لم يكن أنتشار المذهب الشافعي والحنفي في دولة المماليك صدفة بل جاء نتيجة تشجيع السلطة للمذهبين وإعطاءهم الكثير من الامتيازات لذلك مثل قضاء العسكر والنظر في الاوقاف ودار العدل وغيرها [28].

ونستطيع ان نقول أن الاوقاف في العصر المملوكي خرجت من رحم الدول الأيوبية الا أنها تميزت عنها بكثرتها وأثرها على المؤسسات الدينية والعلمية.

أنواع الاوقاف في العصر المملوكي :-

عرفت الدولة المملوكة ثلاث أنواع من الاوقاف هي:-

وقاف الاحباس

يترأسها دوادار السلطان ويتألف من ديوان فيه عدة كُتاب ومدير ويشمل هذا النوع على أراضٍ من أعمال مصر خصصت للقيام بمصالح المساجد والزوايا وغيرها من جهات البر[29].

أوقاف الحكمية

هي بمصر والقاهرة يترأسها قاضي القضاة الشافعي ،ويسمى من يتولى هذا النوع من الاوقاف ب(ناظر لاوقاف)ويشمل الاوقاف المحبوسة على الحرميين وعلى الصدقات الاسرى وأنواع القرب[30].

الاوقاف الاهلية

لها ناظر خاص بها ويكون من أولاد صاحب الوقف أو من ولاة السلطان أو القاضي ويشمل هذا النوع على جميع راضي مصر والشام والارضي الاخرى التي تقع ضمن حدود الدولة ،وتكون موقوفة لصالح الخوانق [31] والمدارس الجوامع والترب[32][33].

ص النوع الاول والثاني من الاوقاف على بناء المؤسسات العلمية والدينية وكان لعائدها الأثر الاقتصادي الكبير على ور الثقافة والمشافي والمصحات[34].

جاح عملية الوقف كان لابد ن وجود أشخاص لهم وظائفهم الخاصة التي يقومون بها لا إدارة الوقف ومن هذه لوظائف .

1- ناظر الوقف

هو الشخص المسؤول عن المباشرة في توظيف الوقف بحسب الجهة المخصص لها ،وروى القلقشندي عن ذلك وقال:((لما كان فلان هو الذي لا يتدنس عرضه بشائبة وتمسه المصالح وهي عن فكرة غائبة ..... فليباشر هذه الوظيفة مباشرة حسنة وينظر في الاوقاف وعلى اختلافها من ربوع ومباني ومساكن وحوانيت وساحات مأجورة وغير مأجورة وليتبع شروط الواقفين ولايعدل عنها ويتدرج على هذه الأوقات ،المساجد مواطن الذكر فليقم شعارها وليحفظ أثارها وليرفع منارها))[35].ط

2- وظيفة ناظر الأحباس

وهي وظيفة عالية المقدار يكون صاحبها يتحدث عن رزق الجوامع والمساجد والاربطة والزوايا والمدارس وكل ما هو في سبيل البر والصدقة لأناس معنيين وتتبع هذه الوظيفة الى ديوان الاحباس الذي يشبه وزارة الأوقاف في وقتنا الحاضر [36] .

للوقف فوائد كثيرة ومتنوعة منها:

1- سد حاجة الفقراء والمساكين والايتام وأبناء السبيل [37].

2- فتح باب التقرب الى خير يزلفه الى الله ويزيده رزقاً[38].

3- تحقيق رغبة المؤمن في بقاء الخير جارياً بعد وفاته منهمراً اليه وهو في قبره حين ينقطع عمله من الدنياً[39].

4- ومن فوائده يجعل الفرد يفكر ويتدبر للمستقبل ،ويعود هذا العمل الناس على التفكير والتدبير المستقبلين من خلال الشعور بالمسؤولية أتجاه الاجيال المقبلة ،فالوقف تطلع وتدبير للمستقبل الدنيوي والاخروي للموقوف عليه[40].

5-ويعمل على تعويد المجتمع على القيام بشؤونهِ ،أذ أن من الآفات الخطيرة للأمم والشعوب التي تعمل على التفكك والشلل وفقدان الفعالية هي أفة الاستقلالية في الشؤون العامة تفكيراً وفعلاً ،فنجد الناس تلقون اللوم عن سوء التوجيه على عاتق الدولة في حين أن الإسلام يُخاطب عموم الأمة أمراهم وزعمائهم وولاة أمورهم في الحث على الأنفاق في سبيل الله والدين[41] ويقول الله في محكم كتابه ﴿ٱلبر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ [42].

عوامل ازدهار الأوقاف في العصر المملوكي

اولا: العامل الاقتصادي

لقد كان اقتصاد دولة قوياً ومزدهراً والسبب يعود أن سلاطينها كانت لهم اهتماما كبيراً في الزراعة والتجارة ،والتي أحتلت المكان الأول في الحياة الاقتصادية ونتج عن ذلك ثراء الدولة وازدهارها اقتصاديا وامتلاك سلاطينها الثروات الطائلة ،وكان أذا توفي أحد سلاطينها خلف وراءهُ ثروات هائلة انعكست على اهتمام الدولة بالأعمال العمرانية ،واستطاعت أن تنفق ذلك على المؤسسات الدينية والعلمية [43]

ثانيا :العامل الديني

كان لهُ دوراً مهم في ازدهار الاوقاف روى أن الامير(علاء الدين طيبرس) بعد استكمال بناء مدرسته الطيبرسية احضر اليه مباشروهُ الحساب ومصروفها ،فلما قدم اليه استدعى بطشت فيه ماء وغسل أوراق الحساب بأسرها من غير أن يقف على شيء منها وقال: شيء خرجنا عنه لله تعالى لا نحاسب عليه [44] ،وكان للعامل الديني الأثر الواضح عند مُشيدي العمائر الدينية وخاصة السلاطين والامراء الذين تقربوا الى الله عز وجل وطلبوا الآجر والثواب مؤمنين الآية القرآنية: ﴿ٱلمنخنمنهمنجيخيمن﴾[45] .

وخير وصف لسلاطين دولة المماليك عبر عنه العبدري فقال:((أن ملوكهم أهل دين وعقائد سليمة وشفقة وحنان على المسلمين وتفضل على الفقراء وحسن ظن بأهل الدين وهم ركن الاسلام))[46].

أن اعتناق سلاطين دولة المماليك الإسلام بقوة جعلهم يشعرون بأنهم مسؤولين امام الله والشعب عن الدفاع عن البلاد واقامة الأبنية والمساجد والمدارس ووقف الاوقاف عليها وعبر عن ذلك فقال احدهم :

بُنيت لأرباب العلوم مدارساً لِتنجوا بها من هول يوم المهالك[47].

كما أن الظاهر بيبرس[48] **أنشاء** المدارس واوقفها حباً للعلم وتقديراً لأهله عبرعن ذلك بعض الشعراء عند افتتاحهم المدرسة الظاهرية فقال:

مَليك لهُ في العلم حب وأهلهِ فالله حب ليس فيه كلام .
فشيدها للعلم مدرسة غداً عراف اليها شيق وشام.
ولتذكرن يوماً نظاميه لهُ فليس بمضاهي النظام نظام([49]).

أن كثرة العلماء والفقهاء وطالبي العلم قد شجع المماليك على الاكثار من المدارس والمساجد وكانت العلاقة وثيقة ومتينة بين العلماء فجاءت نشاطاتهم متماثلة مع روح العصر وتطورات الزمن واستجابة لتطور الحياة الفكري.

كما أن التنافس بين أصحاب المذاهب الفقهية كان سبب في أنشاء المدارس والمساجد فكان كل منهم يُريد بناء مدرسة تؤيد مذهبه الفقهي فمثلا قام الأمير(بيلغا767هـ /1365م) بتجديد درس بجامع ابن طولون فيه سبع مدرسين للحنفية وجعل لكل فقيه منهم في الشهر أربعين درهما وأردب[50]قمح ،ويذكر أن جماعة من غير الحنفية انتقلوا الى مذهب أبي حنيفة لينظموا الى هذا الدرس[51] كما جعل الامير حسام الدين طرنطاي المنصوري مدرسته الحُسامية برسم الفقهاء الشافعية[52] وخصص الامير علاء الدين مغلطاي مدرسته الجمالية للحنفية [53] ووقف الامير سيف الدين البوكري ا لناصري مدرسته البوكرية على الفقهاء الشافعية[54].

ثالثاً: العامل السياسي

أن العامل السياسي عامل ممتزجاً بالعامل الديني ،ففي قضية الخلافة الاسلامية

نلاحظ أن مظاهر العلم أ نتقل مع انتقال (**الحكم**) الخلافة **الى** المدينة المنورة ،فكانت موطن الحركة العلمية وعاصمتها في عهد الرسول(ﷺ) والخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم)،ثم انتقلت هذه الحركة الى دمشق بانتقال مقر الخلافة اليها وانتقلت الى بغداد بانتقال مقر الخلافة اليها، ثم قيام الدولة العباسية وسقوطها على يد التتار فانتقل العلماء الى مصر وقاهرتها اذ استقروا فيها وأسسوا حكماً وسلطاناً وعن ذلك يقول أبن خلدون : ((درست معلم بغداد بدروس الخلافة فأنتقل شأنها من الخط والكتابة الى مصر والقاهرة)) [55]،أن السر العظيم بانتقال العلم حيث تنتقل الخلافة بينه السيوطي فقال:((وأعلم أن مصر من حين صارت دار الخلافة عظم أمرها وكثرت شعائر الاسلام فيها وعلت فيها السنة ،فصارت محل سكن العلماء ومحط الرجال ا لفضلاء وهذا سر من أسرار الله وادعه في الخلافة النبوية حيث ما كانت يكون فيها الإيمان والكتاب)) [56].

ويرى أبن خلدون أن أسباب ازدهار الاوقاف الاسلامية في عصر المماليك هو خوف السلاطين والامراء وأصحاب المناصب العليا في الدولة على ذريتهم وخلفائهم من أن تصادر املاكهم بعد وفاتهم فعملوا على الاكثار من العمائر ووقفها لتكون ملكاً لهم فلأستطيع أحد التطاول عليها وأخذها [57].

نماذج من لأوقاف في عصر المماليك :-

الجامع الازهر

كان للجامع الازهر نصيبه المقدر من الاوقاف مصر لتغطية مصاريفه على أبنيته وفقائها وطلابها والفقراء والواردين اليه، أذ أوقفت الكثير من أراضي مصر لخدمته ([58] فمثلا: أوقف الامير عز الدين أيدمر أوقافاً كثيرة لتأمين مصارفه، وكذلك فعل الامير سعد الدين الجامواري الناصري، وكان لأرباب الاموال سهم في تقديم المعونات له وتقدمون له الذهب والفضة وأنواع من الاطعمة والخبز والحلويات (59).

دار القران الخيضرية انشاءت في دمشق في زمن قاضي القاضي محمد الخيضري سنة(787هـ/482م)وأوقف عليها كثرة داره [60].

دار القران الصابونية أنشاء ت في دمشق من قبل أحمد بن عالم الدين الصابوني وأكمل بناءها سنه (868هـ/1463م)[61].

المكتبات والوقف:-

توافرت عدة عوامل أدت الى ازدهار المكتبات في عصر دولة المماليك ارتبطت هذه العوامل بعملية الوقف وبذل السلاطين والامراء وحب العلماء وحب العلم والمعرفة سعي طلبة العلم لاقتناء الكتب بنسخها أو أستعارتها من المكتبات الموقوفة أو بشرائها [62]،أما العامل ذا الأثر الكبير في ذلك هو التوجه نحو الاعتناء بالكتب فنياً من حيث النسخ والتجليد والتذهيب والحفظ وانتشار الأسواق المختصة بتجارتها ورت المماليك ذلك عن الأيوبيين الذين أنشوا المكتبات الكثيرة والمتنوعة مما أثر ذلك في أثراء المكتبة في ذلك العصر[63] وكان للمكتبة المملوكية أهمية لا تقدر بثمن في حفظ العلم والتراث العربي من الضياع والفقدان من أحراق التتار الكتب وأغرقوها عند أجتياهم بغداد [64]،فتعددت المكتبات الموقوفة في عصر المماليك فوجدت المكتبات العامة والمكتبات الشخصية أو الخاصة و المكتبات الملحقة بالمدارس والمساجد ،وشملت المكتبات عدد من الكتب في شتى أنواع العلوم والمعارف وضعت المكتبات تحت تصرف طلبة العلم وارتبطت بنظام خاص تعلق بقائمة الوقف [65]،فكانت في قلعة الجبل [66]خزانة كتب ضمت الكثير من كتب الفقه والحديث والتاريخ وعامة العلوم[67]،و الحقت المكتبات الموقوفة بالكثير من المساجد فألحقت مكتبة بالجامع الخضيري واخرى بجامع قوص وثالثة بجامع الحاكمي [68].

واقترنت المكتبة بالمدرسة فيندر أن نجد مدرسة فيها مكتبة موقوف عليها ،وكان الطلاب يتطلعون عليها وينهلون منها علماً ،فكانت المدرسة الفاضلية جملة عظيمة من الكتب في سائر العلوم ويقال أنها كانت مئة الف مجلد [69]،ورتبت بالمدرسة والقبة المنصورية خزانة تحوي على الكتب وانواع العلوم المختلفة [70]،والحقت مكتبة أخرى بكل من المدرسة الناصرية والحجازية [71]،وكانت في مكتبة المدرسة والقبة المنصورية كتب الحديث والفقه والطب والادبيات ودواوين الشعر [72].

الخانقات اليونسية : أنشأها في دمشق الامير الكبير الشرفي يونس دوا دار الظاهر برقوق سنة (874هـ/1469م) وقف عليها الدكاكين التي خارج باب الفرج ودرس فيها أفاضل العلماء[73].

الزاوية السيوفية : أنشأها عيسى بن شاه أرمن الرومي سنة(710هـ/1310م) أوقف عليها قريتي عين الفيجة [74] ودير مقرن بوادي بردى [75].

بيوت دمشقية أوقفت مدارس للعلم في العصر المملوكي :

برزت ظاهرة ملفتة للنظر تدل على الجو العام الذي كانت تعيشه هذه المدينة وهو ازدهار الوقف العلمي ومساهمة الجميع في ذلك ،أذ أوقفوا بيوتهم بعد مماتهم مدارس للعلم[76] ومنهم على سبيل المثال:-

دار الحديث البهائية: كانت الدار للشيخ المسند بهاء الدين أبو محمد القاسم (723هـ/1323م)أوقفها في أخر حياته للحديث النبوي الشريف ودرس فيها علماء أفاضل وتخرج منها طلبة علم كثيرون بفضل هذا الوقف[77].

دار الحديث السامرية: كانت للشيخ أحمد بن علي البغدادي (696هـ/1296م) في دمشق أوقفها دار حديث وخانقاه وعقد فيها دروس للعلم [78].

البيمارستان المنصوري:

لم تخرج البيمارستانات في أثر الازدهار الايجابي للوقف لقد بني البيمارستان المنصوري الذي يعد أشهر بيمارستانات مصر عبرالتاريخ بناه السلطان المنصور قلاوون الالفي وشيدهُ عام 682هـ/1283م)بين القصرين

[79]،قال عنه أبن أبي حجلة(ت776هـ/1374م)((هو من حسان الزمان وتحتاج اليه الملوك ويفتقر اليه الغني والصعلوك فهو عون الفقير وجبر الكسير [80].

لم تقتصر الرعاية الصحية فيه على المترددين والمقيمين انما شمل الفقراء في بيوتهم ومختلف فئات الشعب من الاغنياء والفقراء الكبير والصغير الامير والوزير من أهل مصر والقاهرة [81].

وقد أنقسم اطباء البيمارستانات الى ثلاث فئات الطبائعيون وهم: أطباء الامراض الباطنية ،والجرائحيون هم: الذين يقومون بأجراء العمليات الجراحية، والكحالون هم :المختصون بمعالجة أمراض العيون[82]،وكانت مهمتهم هو الاشراف على المرضى مجتمعين أو متناوبين يداوم الكحالون صباح كل يوم ولايرد مريض يأتي للعلاج ووكان على الاطباء الدوام ليلاً مجتمعين أو متناوبين [83] اذاً كانت البيمارستانات عبارة عن مشتفى عام مقارنة بوقتنا الحاضر،كانت البيمارستانات منقسمة الى قسمين أحدهما للذكور والاخر للإناث وقسم كل قسم الى قاعات للأمراض الباطنية وقاعات الجراحة وقاعات أمراض العيون والتجبير وقسمت الى اقسام صغيرة للمصابين بالحمى (المحمومين) وقسم للمرورين(امراض الجنون) وقسم للمبردين اي المتخومين وقسم ممن يعاني من الاسهال [84]أهم صفة لهذه البيمارستان أنها كانت جامعة لتدريس الطب وكليات الطب وخصص مكان يجلس عليه رئيس الاطباء لإلقاء محاضراته في الطب[85].

وكان السلطان المملوكي يصدر مراسيم تعين المدرسين في البيمارستانات وورد بخصوص ذلك :((نصبنا لذلك العلماء والحكماء ممن أخترناه ورضيناه وكانت قد سبقت له في هذا المنصب أحسن مباشرة)) [86]،وكان ما يماثل وظيفتي الصيدلاني والممرض فقد رتب فيه من خلال الوقف رجلان أشترط فيها الامانة والديانة ،مهمة الصيدلاني حفظ الادوية والعقاقير وصرفها حسب أوامر الطبيب، أما الممرض فمهمته توزيع الادوية على الممرضى والتحقق أن كل مريض تناول الدواء الذي صرف له ومهمته توصيل الطعام للمرضى حسب ما وصف له[87].

ويصدر السلطان المملوكي العديد من الوصايا للأطباء باختصاصاتها وللصيادلة والممرضين ،تعكس هذه الوصايا الاهتمام بالرعاية الصحية في مهن تتطلب الانتباه الشديد لتعلقها بأرواح البشر وأجسادهم وتعكس عمل الدولة الدؤوب على توجيه هذه المهن التوجه الصحيح مما يحد من الاخطاء فيها[88].

لم تقتصر أهمية الاوقاف في دراسة الطب على البيمارستانات بل جاوزتها الى المدارس والمساجد والخوانق فدرس الطب في المدرسة المنصورية ومسجد أحمد بن طولون[89]،وخانقات سريا قوس التي ذكر فيها خزانة بها السكر والادوية والاشربة وبها الطبائعي والجرائحي والكحال [90].

نتائج ازدهار الوقف في العصر المملوكي

جاءت دولة المماليك لتكمل أنشاء المؤسسات العلمية التربوية والدينية التي كان سبقوهم بها الايوبيون والمتمثلة بأنشاء المدارس والمساجد البيمارستانات والروابط والزوايا والخوانق ،الا أن عصر المماليك شهد ازدياد في المؤسسات التربوية والعلمية في صور لم يشهدها أي عصر من العصور الاسلامية في مصر وبلاد الشام ،والادلة التاريخية على ازدهار الاوقاف ما ذكره القلقشندي عن ذلك فقال: ((كثرت عمارة الجوامع في الدولة بالقاهرة وخصوصاً في الأيام الناصرية – الناصر محمد بن قلاوون ، ومابعدها فعمر بها من الجوامع مالا يكاد يحصى أكثره)) [91]،وقال ايضا :((وأما مساجد الصلوات الخمس فأكثر من يحصى وأعز من أن تستقصى)) [92].وشهد أبن بطوطة على هذه الكثرة فقال: ((أما المدارس بمصر فلا يحيط أحد بحصرها لكترتها)) [93]ويقول المقريزي:((بلغت المساجد التي تقام بها الجمعة مئة وثلاثين مسجداً)) [94]،اما أبن فضل العمري(ت749هـ/1349م) فكان شاهد عيان على أحداث ذلك

العصر فقال :((وابتدئ بالقاهرة التي هي اليوم أم المماليك وحاضرة البلاد وهي دار الخلافة وكرسي الملك ومنبع العلماء ومحط الرحال تبعها كل شرق وغرب وبعد وقرب خلا الهند فأنه نائي المكان بعيد المدى))[95]،أما أبن خلدون فيقول:((والأوفر اليوم في الحضارة من مصر ،فهي أم العالم وايوان الاسلام وينبوع العلم والصنائع)) [96] ،وعبر القلقشندي عن مجمل النهضة العلمية في ذلك العصر فقال:((لم تزل القاهرة في كل وقت تتزايد عمارتها حتى صارت على ماهية عليه في زماننا من القصور العلمية والدور الضخمة والمنازل الرحيبة والاسواق الممتدة والجوامع البهجة والمدارس الرائعة والخوانق الفاخرة مما لم يشيع بمثله في قطر من الاقطار ولأعهد نظير في مصر من الامصار))[97] أما عن بلاد الشام فقد ازدهرت دمشق في هذه الفترة بمئات المدارس الكبيرة والمختلفة التي أسست لتلقي الثقافة الاسلامية والمذاهب الاربعة [98] فقد أسست هذه المدارس ملوك الشام سلاطينها وامرائها والقاعات والحوانيت وغيرها وأصبحت دمشق وأرباضها أوقافاً لهذه المدارس من أحيائها [99] فكانت وقف أو لئك جميعاً على هذه المدارس أوقافاً وافرة من الاموال والضياع والبساتين والقاعات والحوانيت وغيرها وأصبحت دمشق وأرباضها أوقافاً لهذه المدارس من أحيائها [100] فكانت هذه الأوقاف تدر المال عليها وترغب الطلاب في التعلم بها وتنفرد دمشق بذلك بمجد جديد بين بغداد والقاهرة والقدس فكانت اسبق المدن الثلاث بتأسيس المدارس الخاصة بالعلوم[101].

الخاتمة

1-الوقف نوع من الصدقات وهو أفضل صور الشكر على النعمة وهو من أهم مظاهر التفاعل الاجتماعي مقاصده المحافظة على النفس البشرية وتوفير الحد الادنى من الكفاية.

2-أول وقف عرفته الامة الاسلامية كان في عصر الرسول (ﷺ)في السنة الثالثة للهجرة واستمر الصحابة على مرور الاجيال والزمان يطبقون سياسته في ايقافهم للأوقاف.

3-ثبوت الادلة الشرعي بالكتاب والسنة والاجماع ومذاهب الائمة على مشروعيته .

4-نظراً لما تمتعت به دولة المماليك من اقتصاد تجاري مزدهر فقد استطاع سلاطينها توظيف ذلك الازدهار لنمو وانشاء مؤسسات متعددة للوقف ما بين المساجد والمكتبات و المستشفيات .

5-أول سلاطين المماليك اهتماماً بالأوقاف الظاهر بيبرس وابنه السلطان المنصور قلاوون اللذان وجها اهتمامهما الى الحرمين الشريفين .

6-الاوقاف في دولة المماليك خرجت من رخم الدولة الايوبية الا انها تميزت عنها بكثرتها واثرها على المؤسسات العلمية والدينية .

7-عرفت دولة المماليك اوقاف الاحباس والحكمية والاهلية ووظائف ساعدت على تطبيقه بشكل فعال مثل ناظر الاحباس وناظر الوقف.

8-كانت الاوقاف اكبر مصدر تمويل للتعليم في مختلف مراحله.

9-على الدول الاسلامية ان تكون لها سياسة ناجحة في استثمار المشاريع الخيرية لصالح استثمار الوقف في التطبيق العملي والتنفيذي لمشاريع تعود بالنفع على الطبقة الفقيرة والمعدمة من الناس.

هوامش البحث

(1)**ابن** منظور، محمد بن مكرم (ت711هـ /1311م)،لسان العر ب ،دار صادر(بيروت –د.ت)،ج6 ،ص 44 مادة (حبسَ).

(2) ابن منظور ،لسان العرب ،ج6،ص44.

(3) الفيومي ،أحمد بن محمد بن عاي الفيومي (ت770هـ /1368م) ،المصباح المنير في شرح الكبير للرافعي ،المكتبة العلمية ،(بيروت –د.ت)ج2 ،ص669 .

(4) ابن منظور ،لسان العرب ،ج6 ،ص44؛الفيومي ،المصباح المنير،ج2،ص669.

(5) ابن قدامه ،موفق الدين بن عبدالله بن أحمد المقدسي (ت620هـ/1219م) ،المغني ،تح :عبدالله بن عبد الحسن التركي وعبد الفتاح الحلو ،دار عالم الكتب ،(بيروت –1997م)،ج6،ص273.

(6) المغني ،ج6 ،ص273؛الموسوعة الفقهية الكويتية تأليف، مجموعة من الباحثين ،ج44،ص110.

(7)الريسوني ،أحمد، الوقف في الإسلام ،دار القلم (الكويت–1987م)،ص9.

(8)لمعرفة أحكام وشروط الوقف ينظر :الطرابلسي ،برهان الدين بن أبراهيم بن موسى(ت922 هـ/1516م) ،الإسعاف في أحكام الأوقاف،ط2، المطبعة الهندية (مصر–1902م)،ص5–6.

(9)ابن قدامة ،المغني ،ج6،ص275؛الريسوني ،الوقف في الاسلام ،ص10.

(10) ابن قدامة ،المغني ،ج6،ص276؛الريسوني،الوقف في الإسلام ،ص11.

(11)سورةال عمران ،الآية :(92).

(12)سورة البقرة ،الآية :(266).

(13)النيسابوري ،أبو الحسن مسلم بن الحجاج (ت261هـ /875م)،صحيح مسلم ،تح فؤاد عبد الباقي دار أحياء التراث،(بيروت –1978 م)،ج5 ،ص73 ،رقم الحديث(4310).

(14ابن قدامة ،المغني ،ج6،ص206.

(15)البخاري ،أبو عبد الله محمد أسماعيل(ت256هـ/870م)،صحيح بخاري ،تح مصطفى ديب البغا ،دار أبن كثير ،(بيروت–1987م)،ج3،ص199.

(16)مخيريق اليهودي ،هو أحد أحبار اليهود من بني النظير قاتل حتى أستشهد يوم أحد أوصى بما يملك للرسول (ص)يضعه حيث يشاء.ينظر:ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام (213هـ/828م)،السيرة النبوية،تح مصطفى السقا واخرون ،مكتبة أبن حجر ،(دمشق–2005 م)ج2 ،ص518.

(17ابن هشام ،السيرة النبوية ،ج2،ص518؛لريسوني ،الوقف في الإسلام ،ص3.

(18)، ابن الأثير عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت630هـ /1233م)الكامل في التاريخ ،دار صادر ،(بيروت –1979م)،ج2 ،ص119.

(19)المَدَّ:نوع من المكاييل التي كانت شائعة في المدينة المنورة قبل الإسلام ويزن عند اجماع المذاهب 543/824غم وحجمه 688لتراً،وهو يعادل مليءكفتين رجل متوسط اليد.ينظر:ابن الرفعة الانصاري ،أبي العباس نجم الدين (ت710 هـ/1310م)الإيضاح والتبيان في معرفة المكيال والاوزان،دار الفكر ،(دمشق–1980م)،ص56.

(20)) ابن الأثير عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت630هـ /1233م)،أسد الغابة في معرفة الصحابة ،تح عادل أحمد الرفاعي ،دار أحياء التراث العربي ،(بيروت–1996م)،ج2،ص285.

(20)الزرقا ،مصطفى احمد ،أحكام الأوقاف ،دار عمار (الاردن–1998م)،ص21.

(21) الخن وأخرون ،الفقه المنهجي على مذهب الامام الشافعي ،دار القلم ،(دمشق –1992م)،ج4،ص18.

(22)ببرحاء:هي قصور بني حديلة بالمدينة وكانت بساتين نخل واسعة ينظر:ابن شبه ،أبو زيد عمر بن شبه النميري (ت262هـ/876م)،تاريخ المدينة ،تح محمد شلوت ،دار الفكر،(بيروت .بلا.ت)ج1،ص345.

(23) أبن شبه،تاريخ المدينة،ج1 ،ص346.

(24)أبن حبان،أ بو حاتم محمد بن حبان (ت354هـ /965م)،صحيح ابن حبان ،تح شعيب الارناؤوط، مؤسسة الرسالة،ط3،(بيروت-1993)،ج8،ص54.

(25) أبو زهرة ،محاظرات في الوقف،دار الفكر،ط2،(القاهرة-1972)،ص14.

الريسوني ،الوقف في الاسلام ،ص13.

(26)أمين ،محمد محمد، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر(648هـ /1517م)،دار النهضة العربية،(القاهرة-1980م)،ص1-5.

(27)ابن اياس،أبو بركات محمد بن أحمد بن أياس(ت930-1523)،بدائع الزهور في وقائع الدهور ،تح محمد مصطفى ،الهيئة المصرية للكتاب ،(القاهرة-1975م)،ج1،ص307.

(28)القلقشندي ،أحمد بن علي بن أحمد(ت821هـ/1418م)،صبح الأعشى في صناعة الأنشا ،تح عبد القادر زكار ،وزارة الثقافة،(دمشق-1981م)،ج4،ص216.

(29)القلقشندي ،صبح الأعشى ،ج11،ص348 .

(30)المقريزي ،تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقريزي(ت845هـ/1715م)،المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثارالخطط المقريزية،دارالكتب العلمية،(بيروت-1988م)،ج2،ص295-296،ودواداروظيفة اطلقت على الموكل بدواة السلطان ظهر في العصر العباسي وتطورت في العصر المملوكي كان يشغلها عسكريون وامراء .الباشا،حسن ،الفنون الاسلامية والوظائف على الاثار العربية،دار النهضة العربية،(القاهرة-1995م)،ج2،ص519-520.

(31) الخوانق:شعب ضيقة في اعلى الجبال وهي جمع ،واهل اليمن يسمون الزقاق خانقاً.ينظر:ابن سيدة ،أبو الحسن علي بن اسماعيل النحوي(ت458هـ/1066م)،المخصص تح ابراهيم الجاف ،دار احياء التراث العربي (بيروت-1996م)،ج3،ص48

(32)التُراب:جمع الترب ويقال ارض طيبة التربة اي خلقة ترابها،ويعني بهاالارض وماعليها من جبال وغيرها وماظهر عليها،ويقال رجل ترب اي لامال له اي فقير اوالمحتاج .ينظر :أبن منظور ،لسان العرب،ج1،ص227مادة (ترب).

(33)المقريزي،الخطط،ج2،ص295-296.

(34)كارل،بروكلمان،تاريخ الشعوب الاسلامية ،ط5،ترجمة ترنيه فارس ومنير بعلبكي،دار العلم للملايين،(بيروت -1968م)،ص371.

(35)القلقشندي،صبح الأعشى،ج11،ص253-254.

(36)القلقشندي ،نفسه،ج11،ص248.

(37)الطرابلسي،الأسعاف،ص3.

(38)الخن وأخرون ،الفقه المنهجي،ج2،ص216.

(39)الخن،نفسه،ج2،ص217.

(40)الريسوني،الوقف في الأسلام،ص10.

(41)الريسوني،نفسه،ص11.

(42)سورةالبقرة،الأية:(195).

(43)ناصر ،عامر نجيب، الحياة الاقتصادية في مصر في العصر المملوكي،دار الشروق،(عمان-2003م)،ص11.

(44)المقريزي،الخطط،ج2،ص383.

(45)سورة النور ،الأية(36).

(46)العبدري،ابو عبدالله محمد بن علي بن احمد بن مسعود(ت688هـ/15)،تح علي كردي ،دار أسعد الدين ،(دمشق-1999م)،ص280.

(47)المقريزي،الخطط،ج2،ص375.

(48)الظاهر بيبرس:العلائي البندقداري مولده أرض القيجاق اسر وبيع ونقل من حلب الى القاهرة، جعله نجم الدين في خدمته ثم أعتقه تولى أعمال مصر والشام، لقب أبي الفتوحات،كانت له وقائع هائلة مع الصلبين ،توفي سنة 676هـ في دمشق وأقيم حول مرقده المدرسة الظاهرية.الزركلي،خير الدين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء ،ط3،دار العلم للملاين،(بيروت-1980م)،ج2،ص79.

(49) المقريزي ،الخطط،ج2،ص379.

(50)أردب:وحدة كيل كبرى لاهل مصر ذكرت بعد الفتح ،تعادل 52/14كيلو غرام و66 لترا من الماء.أبن الرفعة الانصاري،الايضاح والتبيان ،ص71.

(51) ابن كثير،أسماعيل بن عمر(ت774هـ/1373م)،البداية والنهاية ،مكتبة المعارف،(بيروت-1990)،ج6،ص254.

(52) المقريزي،الخطط،ج2،ص386.

(53)المقريزي،نفسه،ج2،ص379.

(54) المقريزي،نفسه ،ج2،ص404.

(55)ابن خلدون،عبد الرحمن بن محمدالحضرمي(ت808هـ/1406م)،المقدمة،دار أحياء الثراث العربي،(بيروت-1970م)،ص528 .

(56)السيوطي،جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(ت911هـ/1505م)،حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة،تح محمد أبو الفضل ،دار أحياء التراث العربي ،(مصر-1967م)،ج1،ص102.

(57) أبن خلدون ،المقدمة،ص40.

(58)الجيعان،شرف الدين يحى بن المقرابن(ت885هـ /1480م)،التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية،مكتبة الكليات الازهرية،(مصر-1974م)،ص13-62-145.للمزيد عن الاراضي الموقوفة لجامع الازهر ينظر:أبن دقماق ،أبراهيم بن محمد (ت809هـ/1409م)الانتصارلواسطة عقد الأمصار في تاريخ مصر وجغرافيتها،المكتب التجاري ،(بيروت-بلا.ت) ،ق1،ص102.

(59)المقريزي،الخطط،ج2،ص276-277 .

(60) النعيمي ،عبد القادر بن محمد النعيمي (ت927 هـ/1511م)،الدارس في تاريخ المدارس ،تح أبراهيم شمس الدين ،دار الكتب العلمية،(بيروت-1990م)ج1،ص7.

(61)النعيمي ،الدارس في تارخ المدارس،ج1،ص12-13.

(62)المقريزي،الخطط،ج2،ص366.

(63) المقريزي،الخطط،ج2،ص367.

(64)المقريزي ،نفسه،ج2،ص212.

(65)الصفدي ،خليل الدين أيبك(ت764هـ/1345م)،أعيان العصر وأعوان العصر ،تح ،محمد أبو زيد وأخرون،دار

الفكر،(بيروت–1998م)،ج2،ص74.

(66)قلعة الجبل:قلعة شيددها صلاح الدين الايوبي فوق جبل المقطم في القاهرة لحمايتها من الصلبيين.ينظر:المقريزي،الخطط،ج2،ص396.

(67)النويري،شهاب الدين أحمد(ت732هـ/1332م)،نهاية الأرب في معرفة فنون الادب،دار الكتب المصرية،(القاهرة–1929م)31،ص111.

(68)الصفدي ،أعيان العصر،ج2،ص74.

(69)المقريزي،الخطط،ج2،ص366.

(70)المقريزي،الخطط،ج2،ص382.

(71)المقريزي،أحمد تقي الدين أبي العباس(845هـ/1715م)،السلوك في معرفة دول الملوك،تح عبدالقادر عطا،دار الكتب العلمية،(لبنان–1997م)،ج1،ص417.

(72)النويري،نهاية الأرب،ج31،ص111.

(73)النعيمي،الدارس،ج2، ص108.

(74)عين الفيجة:بلدة تقع غرب دمشق في وادي بردى بين السلاسل الجبلية وتبعد عن دمشق15كيلو مترومن سفوح جبالها يتدفق نبع الفيجة الذي يزود مدينة دمشق بالمياه.ينظر:الأدريسي،محمد بن محمدالحمودي (ت559هـ/1164م)،نزهة المشتاق في أختراق الأفاق،مكتبة الثقافة الدينية (دمشق–2002م)،ج5،ص117.

(75)وادي بردى:وادي مشهور بسوريا يمثل خط سير نهر بردى ومنبع النهرعند بحيرة شنال غرب مدينة دمشق ،وفي هذا الوادي مصايف دمشق ينظر: الحميري، جمال الدين بن عبد الله (ت947هـ/1537م)،النسبة الى المواضع والبلدان، مكتبة مشكاة الاسلامية،(بلات –د.ت)،ج1،ص.

(76) النعيمي،الدارس،ج2،ص43.

(77) النعيمي ،نفسه،ج2،ص44.

(78)النعيمي،نفسه،ج2،ص54–55.

(79)النويري، نهاية الأرب،ج31،ص106.

(80ابن أبي حجلة، شهاب الدين بن العباس بن أبي بكر(ت776هـ/1374)،سكردان السلطان ،تح علي عمر، مكتبة الخانجي،(القاهرة–2001م)،ص54.

(81) النويري، نهاية الأرب،ج31،ص107.

(82)النويري،نفسه،ج31،ص108.

(83)ابن حبيب، بدر الدين الحسن بن عمر(ت779هـ/1369م)،تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تح، محمد أمين ،دار الكتب ،(القاهرة–1976م)،ص297–302.

(84)النويري ،نهاية الأرب،ج31،ص107.

(85) النويري،نفسه،ج31،ص108.

(86) ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم(ت 807هـ/1408م)،تاريخ الدول والملوك (تاريخ ابن الفرات)،تح ،حسن الشماع،1970،ج8،ص23.

(87) أبن حبيب، تذكره النبيه،ج1،ص307.

(88)أبن الفرات، تاريخ أبن الفرات،ج8،ص24.

(89)المقريزي،الخطط،ج2،ص369.

(90)المقريزي،الخطط،ج2،ص79.

(92)القلقشندي،صبح الأعشى ،ج3،ص413.

(93) القلقشندي،نفسه،ج3،ص417.

(94)أبن بطوطة ،محمد بن عبدالله بن أبراهيم(ت1377/704م)تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار(رحلة أبن بطوطة)،تح

(95)المقريزي،الخطط،ج2،ص245.

(96)العمري، أحمد بن يحيى بن فضل الله(ت749هـ/1339م)،التعريف بالمصطلح الشريف، دار الكتب العلمية،(بيروت-1988م)،ص247.

(97)أبن خلدون ،المقدمة،ص749.

(98)القلقشندي ،صبح الاعشى،ج3،ص418.

(99)النعيمي ،الدارس،ص6-8.

(100)النعيمي ،الدارس، مقدمة الكتاب .

(101) النعيمي ،نفسه،ص8.